جدلية الإبداع الأدبي والإعلام الجديد
الفرص والتحديات

الدكتور: هاني إسماعيل محمد
قسم اللغة العربية
كلية العلوم الإسلامية
جامعة غيرسون التركية

الملخص

تسعى هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على الإنتاج الأدبي الصادر عن الشباب وإليهم عبر الإعلام الجديد، من خلال إبراز التحديات التي قد تعيق تحقيق أهدافه، باحثة عن الفرص التي يمكن توظيفها في بث محتوى أدبي إعلامي يتوافق مع القيم الإنسانية والإسلامية، ليسمو بالشباب من الغث إلى السمين، ولقد وقفتْ حدود هذه الدراسة على الإبداع الأدبي لما يشكله الأدب من رسالة تثقيفية ترفيهية في آن، وهو ما يناسب ميول الشباب ويلبي رغباتهم واحتياجاتهم، وهو أيضا ما يتوافق في أهدافه مع الوظيفة الثقافية للإعلام الجديد.

Abstract:

The aim of this study isto show the relationship between digital literature and new media, so it try to answer to these questions:
What does it mean to be "digital literature" and how has thischanged as a consequence of the introduction of new communication technologies?
What can new media teach us about the future of literature?

What are the ethical choices young people face as participants in online communities and as producers of literature in new media?.

مقدمة:

يستقطب الإعلام الجديد شريحة الشباب من خلال آلاف الرسائل اليومية التي يبثها عبر وسائله الجديدة والمتنوعة، التي اقتحمت خصوصياتهم متجاوزة حدود الزمان والمكان، محطمة السطلة الرقابة وسطوة التحكم، ملبية لهم رغباتهم ومتجاوبة مع ميولهم، فقد توصلت إحدى الدراسات العربية إلى أن الشباب يستخدمون الإنترنت بشكل كثيف حيث وصلت نسبة الشباب الذين يتصفحون الإنترنت يوميا إلى 76% من مجموع العينة المبحوثة[1] وإن دل هذا فيدل على أهمية الإنترنت لهذه الشريحة العمرية.

ولتفادي الآثار السلبية لهذا الكم من الرسائل يجب على المختصين والمهتمين في كل المجالات بلا استثناء مسابقة الزمن لمواكبة الثورة الرقمية للاتصالات والمعلومات، متفاعلين مع ما تحمله من تطور تكنولوجي متسارع، حتى لا يتجاوزهم التقدم العلمي المستمر ويقذف بهم – غير مبالٍ – في غياهب الجهل، فلو غفلوا لبرهة عن متابعة كل جديد، والإفادة منه لعاشوا في غربة اجتماعية وثقافية داخل كهف الزمن الغابر القريب في آن.

فإنه مع هذا التطور الهائل للتكنولوجيا وأدواتها بات من العسير – إن لم يكن من المستحيل – التنبؤ بما سيكون عليه شكل العالم في المستقبل القريب، ولا أقول المستقبل البعيد، فلقد كان – مثلا – اختراع المطبعة يمثل ثورة وحدًّا فاصلا بين عصرين: عصر الكتابة وعصر الطباعة لردح من الدهر، أما الآن فلم يعد اختراع شيء بعينه يمثل حدا فاصلا لكثرة الاختراعات وقفزاتها الهائلة كمًّا ونوعا، فما أن أُطلق على العصر الحديث عصر الكمبيوتر حتى ظهرت الإنترنت فسحبت البساط من الكمبيوتر، ووسمت العصر بها فأطلق عليه عصر الإنترنت، وما لبث أن تراكمت الاختراعات مما حدا بالباحثين إلى تسمية هذا العصر بعصر التكنولوجيا أو الثورة الرقمية، وما زالت تتوالى الأسماء مع توالي الاختراعات.

ولقد كان لهذه الثورة التكنولوجية أثر مباشر في شعوب العالم المختلفة على جميع المستويات الثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية ... إلخ، وتوالت الدراسات المتعاقبة التي تتنبأ بتغيير جذري للفكر البشري والسلوك الإنساني، «ولاح في أفق المعرفة خطاب يبشّر بعالم جديد، وباقتصاد جديد، وبإعلام جديد، وبإنسان جديد وبنمط جديد في التفكير والعمل والإنتاج»[2].

وفيما يبدو جليا أن هذا التغيير الذي تتساق إليه البشرية قسرا، نتيجة حتمية لمعطيات العولمة ومستجدات الحداثة، تحت رعاية سياسية وحماية اقتصادية لدول العالم المتقدم ذات التاريخ والطابع الاستعماري[3]، مما يمثل تحدّيا بل تهديدا صارخا للثقافة الإسلامية والهوية العربية، وقد أحدثت بالفعل خللا واهتزازا في المجتمعات العربية[4] مما يستوجب المشاركة الفاعلة لا المفعولة في هذه الثورة العارمة للحد من آثارها السلبية على المكون الثقافي والاجتماعي للمجتمعات العربية والإسلامية «حيث إن الهوية الثقافية في عصر العولمة وثورة الاتصال ترتبط بفضاء طبيعيوإلكتروني، تتفاعل فيه فواعل اقتصادية وثقافية وإعلامية وسياسية وإنسانية في عالممترابط؛بصرف النظر عن تناقضاته واختلالاته التي لا تعالج بالانعزال عنه بل الاندماج فيه، والمشاركة في تعديل شروط توازناته، وإعادة صياغة مفاعيله الداخلية»[5].

من هذا المنطلق جاءت هذه الدراسة التي تسعى للمشاركة الفاعلة في تسليط الضوء علىالإنتاج الأدبي الصادر عن الشباب وإليهم عبر الإعلام الجديد، من خلال إبراز التحديات التي قد تعيق تحقيق أهدافه، باحثة عن الفرص التي يمكن توظيفها في بث محتوى أدبي إعلامي يتوافق مع القيم الإنسانية والإسلامية، ليسمو بالشباب من الغث إلى السمين، ومن الزهيد إلى الثمين.

ولقد وقفتْ حدود هذه الورقة على الإبداع الأدبي لما يشكله الأدب من رسالة تثقيفية ترفيهية في آن، وهو ما يناسب ميول الشباب ويلبي رغباتهم واحتياجاتهم، وهو أيضا ما يتوافق في أهدافه مع الوظيفة الثقافية للإعلام الجديد، التي تعنى بالتثقيف والتربية وشحذ الكفاءات وتنمية الذوق وتهذيبه، بالإضافة إلى النهوض بالإنتاج الفكري ونشره[6]، «فإن واحدة من أبرز سمات عصرنا أهمية، هي تحول وسائل الاتصال الجماهيريإلى أدوات للثقافة، بحيث يمكن القول إنها أصبحت الوسيلة الجماهيرية للحصول علىالثقافة، والاطلاع على جميع أشكال الإبداع بالنسبة للقطاعات الواسعة من الجماهير»[7] ولا يجانبنا الصواب إن قلنا إنها أصبحت من أهم الوسائل المؤثرة في محتوى الإبداع وشكله.

فجاء هذا الطرح العلمي محاولا الإجابة عن تساؤلات جدلية الإعلام الجديد والإبداع الأدبي، وما مدى جدوى هذه الجدلية؟ وكيف يمكن الإفادة من الإعلام الجديد في تنمية الذوق الأدبي عند جمهور المتلقين من الشباب؟ وما هي إمكانية توظيف الإعلام الجديد في إتاحة

الفرص أمام المبدعين من الشباب؟ وهل يمكن للشباب أن يكون عنصرا فاعلا في الإعلام الأدبي بدلا من أن يكون عنصرا سلبيا.

وقد استرشد البحث ببعض الدراسات السابقة ذات الصلة بالموضوع، مثل: دراسة أحمد فضل شبلول«**أدباء الإنترنت أدباء المستقبل**»[8]فهي من أوائل الدراسات – إن لم تكن أولها – التي طرقت جدلية توظيف الإنترنت في الإبداع الأدبي، داعيا معشر الأدباء والنقاد إلى التغلب على الخوف المرضي من التكنولوجيا، أو ما أطلق عليه "تكنوفوبيا"؛ بيد أن التطور التكنولوجي المتسارع تجاوز أطروحاتها، وأبقى على فضل سبقها.

وكذلك دراسة فاطمة البريكي«**مدخل إلى الأدب التفاعلي**» [9] ودراسة عمر زرفاوي«**الكتابة الزرقاء مدخل إلى الأدب التفاعلي**»[10] فقد تناولت كلتاهما الأدب التفاعلي تنظيرا وتطبيقا، ومع أهميتهما وإفادتهما للبحث فإنهما تناولا قضايا الأدب التفاعلي وأنواعه فقط، وإن كانت دراسة البريكي أكثر شمولا فضلا على أنها أشارت إلى نظرية التلقي، بينما قصرت دراسة زرفاوي اهتمامها على النص وتأويلاته، دون التطرق إلى نظرية التلقي، وإن كانت تطرقت إلى العولمة وآثارها على النظرية الثقافية والأدبية، وموقع الأدب العربي منها.

ومن ثمّ فإن هذه الورقة تتقاطع في جانب من جوانبها مع هاتين الدراستين، وتفترق في جوانب، كما يتضح من عناصرها التي فرضتها مقتضيات البحث وأهدافه، حيث جاءت عناصرها بعد المقدمة على النحو التالي:

- الإعلام الجديد المفهوم والخصائص.
- مفهوم الأدب الرقمي وخصائصه.
- تجربة خالد الطبلاوي نموذجا.
- تحديات الإعلام الجديد والهوية الثقافية.
- أهم النتائج والتوصيات.

الإعلام الجديد المفهوم والخصائص:

يتقاطع الإعلام الجديد مع التطور التكنولوجي لوسائل الاتصالات الحديثة، مما ترتب عليه تغيير في دلالات الإعلام ووسائله، وهو ما تشير إليه التعريفات المختلفة للإعلام الجديد، إذ إنها تدور حول اندماج تكنولوجيا الاتصال الحديثة مع وسائل الإعلام التقليدية، سواء بالإحلال والتجديد أم بالتطوير والتحديث، حتى أصبحت دلالة مفهومه تشمل «كل أنواع

الإعلام الرقمي الذي يُقدَّم في شكل تفاعلي» [11] فهو مصطلح يشير تحديدًا إلىالاحتمالات الناجمة عن أجهزة الكمبيوتر والاتصالات السلكية واللاسلكية، ويشمل شبكةالإنترنت وجميع تطبيقاتها، والهاتف المحمول[12].

وهو ما يتسق أيضا مع ما قرره (ليف مانوفيتش) بأن الإعلام الجديد هو حاصل اندماج ثلاثي بين الحاسب الآلي وتقنيات الاتصال ووسائل الإعلام[13].

وقد أدّت الإنترنت الدور الأبرز في تشكيل سمات الإعلام الجديد، إذ أسهمت في توظيف تقنيات الصوت والصورة، وإتاحة بثهما من قِبَل الأفراد والمؤسسات الصغيرة إلى أنحاء العالم من خلال الاتصال الشخصي أو الجماهيري، كما أنها تتميز بملكيتها الشائعة، مما جعلها المؤثر الأساسي لإحداث التغيير، على حد قول نيكولاس نيجروبونت (Nicholas Negroponte)[14].

وترجع أهمية الإنترنت إلى أنها بمثابة الحاضنة الأم للإعلام الجديد، مما أسهم في تحويل البيت والمكتب إلى مركز معلومات تتوافر فيه أنماط المعرفة المتنوعة، عبر ربط الإنترنت للكثير من الشبكات المنتشرة في العالم كله، من شبكات حكومية، وشبكات جامعات ومراكز بحوث، وشبكات تجارية، ليحصل المستخدم على عدد لا متناهٍ من المعلومات[15].

وقد اكتسب الإعلام الجديد من تزاوجه بالإنترنت ووسائل الاتصال الحديثة خصائص فريدة وجديدة في آن، من أبرزها[16]:

- التفاعلية بحيث يتبادل المستقبل دوره مع المرسل، ويستطيع المشاركة الإيجابية، وتفتيت الجماهير.
- تفتيت الجماهير بحيث يمكن لكل شخص أن يحصل على رسالته الإعلامية المناسبة له.
- العالمية، اختراقها للحدود القطرية، وتجاوزها لكل القيود والحواجز الإقليمية، مما حوّل العالم إلى قرية كونية.
- عدم التزامن بمعنى أنه لا يشترط أن يتزامن البث مع الاستقبال، بحيث يستطيع أن المتلقي أن يستقبل أو يطلع على الرسالة الإعلامية في الوقت الذي يناسبه ويحدده هو.
- الشيوع وانتشارها بين جميع فئات المجتمع المختلفة وطبقاته المتباينة.

- النشر الشبكي، بمعنى الإرسال والاستقبال يكون معظمه – إن لم يكن كله – من خلال الإنترنت وتطبيقاتها المختلفة.

في تقديري أن من أهم هذه الخصائص التفاعلية، لأنها مكّنت المتلقي من أن يكون عضوا فاعلا، ومنتجا، لا مستقبلا فحسب، فضلا عن أن التفاعل عنصر رئيسي في المنظومة الإبداعية، وهو المعيار الأول لقياس مدى قبول النص، وتعاطيه مع الجمهور، وهذا لا يعني هذا بالضرورة أن باقي الخصائص أقل أهمية للإعلام أو الأدب عن التفاعلية، بيد أن التفاعلية هي السمة البارزة والمشتركة بين الأدب والإعلام، وذلك لتوافقها مع طبيعة الأدب وخصائصه.

ويقصدبالتفاعلية[17] في الإعلام الجديد مشاركة المستخدمين بطرق التواصل الحديثة والتقليدية، وتتميز بتبادل التأثير بين المرسل والمستقبل، مما يؤدي إلى التشكيل والتغيير المستمرين، «حيث أصبح للمتلقي دور مؤثر في عملية الاتصال سواء امتلك حق كتابة التعليق المباشر على ما ينشر كما في المواقع الإلكترونية للصحف، والصحف الإلكترونية، أوشريط الرسائل في شاشات القنوات التلفزيونية، أو من خلال المشاركة في البرامج الإذاعية والتلفزيونية»[18].

ولقد أفاد الأدب من هذه الخصيصة حتى صار ما يُسمى بالأدب التفاعلي، ولا تختلف التفاعلية في الأدب عنها في الإعلام، فهي خاصية للعلاقة التي تقوم بين القارئ والبرنامج، وتمنح القارئ قدرة التأثير في تركيب العلامات المقترحة للقراءة[19].

وتعني التفاعلية بحضور المتلقي (قارئ أو مستمع أو مشاهد) في الإبداع، وإسهاماته الفاعلة في إنتاجه أو إعادة إنتاجه، كما أطلقت حريته في اختيار نقطة البدء والانتهاء متى شاء وكيفما شاء، وتلاشت الحدود بين المبدع والمتلقي، وبالتالي أصبحت السيادة للمتلقي على حد تعبير البريكي[20].

ولم تأتِ هذه السيادة إلا بعدما اختفت الفواصل بين المُرسِل والمستقبل، وتحول مسار الرسالة من آلية البث من طرف واحد إلى آلية البث المتبادل من الطرفين، وتحول المتلقي من مستقبل سلبي إلى مستقبل مشارك وفاعل، يزاحم الأديب في مواقفه ورؤاه، ساحبا البساط من تحت قدميه، متصدرا المشهد الإبداعي، فصار الناس يعبرون عن ذوقهمويقولون رأيهم عبر الإعلام الجديد بوسائله المختلفة «فإن فقدان الوسيلة هو الشيء الذي قد حجب صوت

الجماهير، ثم حينما تملكت الجماهير الوسيلة تمكنوا من الإعلان عن آرائهم، وهذا يعني أننا لسنا أمام انهيار للخطاب الثقافي المزعوم، وإنما نحن أمام ظهور أصوات لم تكن تظهر ولقد تكلمت هذه الأصوات بعد أن كانت خرساء»[21].

ولم يقتصر دور الإعلام الجديد على تغيير المعادلة بين المتلقي والمبدع، بل تجاوزت ذلك إلى إعادة صياغة معادلة المنظومة الإبداعية بأسرها، وبالتالي «أعاد تشكيل نظامها العلائقي من تركيبها الثلاثي؛ (كاتب، نص، قارئ) إلى تركيب رباعي، (كاتب، حاسوب، نص، قارئ)، وقد كان ذلك مقدمة لنتيجة مؤداها أن طبيعة الوسيط هي التي تحدد طبيعة الأطراف المكونة للمنظومة الإبداعية»[22].

وهو ما أضاف – أيضا – إلى ملكات دولة الأدب الثلاثة ملكة رابعة هي ملكة التعامل مع الحاسب والإنترنت، على حد قول فضل شبلول في "أدباء الإنترنت أدباء المستقبل"[23] فإن دولة الأدب كانت تحتلها ملكات ثلاث: الأولى ملكة الإنتاج أو الإنشاء، والثانية ملكة التذوق، والثالثة ملكة النقد، قبل أن يشاطرهن– إن لم يسلبهن– الحاسوب والإنترنت المُلك.

مفهوم الإبداع الأدبي في الإعلام الجديد وخصائصه:

تتباين الأشكال الأدبية وأسماؤها التي جاءت نتيجة تلاقح الأدب والإعلام الجديد، فظهر لدينا ما لا يمكنه حصره من مصطلحات وأسماء، مثل: الأدب الرقمي، والأدب التفاعلي، والأدب الشبكي، والأدب التشعبي أو الترابطي، والأدب الإلكتروني، وكلها تدور في فلك ثنائية الأدب ووسائل التكنولوجيا الحديثة، وخاصة الإنترنت، وفي تقديري يرجع السبب في كثرة المصطلحات والأسماء إلى حداثة الظاهرة، وتسارع التطور التكنولوجي.

ومع ذلك فإن مصطلحي الأدب الرقمي والأدب التفاعلي لقيا حظهما من الاستقرار النسبي والثبات الدلالي إلى حد ما، والسبب في ذلك يرجع لإصدار دراسات جادة عنهما[24] وإلى ارتباطهما بصفتين مميزتين، فالرقمية سمة العصر، حتى أصبح يؤرخ له بها، حتى أطلق عليها الثورة الرقمية، أما التفاعلية فهي السمة الفارقة في الإعلام الجديد ووسائل الاتصالات الحديثة، كما أوضحنا آنفا.

وإن كان ثمة فرق بين الأدب الرقمي والأدب التفاعلي فهو فرق نسبي، وقد أكدت هذا الناقدة زهور كرام فقالت: «بناء على طريقة تأملنا في تجربة الأدب في علاقته

بالتكنولوجيا، فإن الأدب الرقمي هو مفهوم عام تنضوي تحته كل التعبيرات الأدبية التي يتم إنتاجها رقميا، والمترابط مفهوم يعيّن الحالة الأجناسية لهذا الأدب، أما التفاعلي فهو إجراء رقمي عبره تتحقق رقمنةالنص»[25].

ولكن البريكي ترى أن هناك فرقا جوهريا متمثلا في تجاوز الصيغة الخطية والتقليدية في تقديم النص إلى المتلقي، والاعتماد على تفاعل المتلقي مع النص بدلا من ذلك، مستفيدا من الخصائص التي تتيحها التقنيات الحديثة، وتقاس تفاعلية النص بمقدار الحيز الذي يتركه المبدع للمتلقي، والحرية التي يمنحها له للتحرك في فضاء النص، بينما الأدب الرقمي هو ما يقدم رقميا على شاشة الحاسوب دون أي شرط أو قيد آخر، ولا يكون تفاعليا، حيث يُقدم نصًّا جاهزا للمتلقي لا يتطلب منه إلا أن يستقبله كما هو، دون المشاركة الفاعلة منه[26].

وفيما يبدو أن مصطلح الأدب الرقمي أعم وأشمل فهو يشمل الأدب التفاعلي، إذ لا يمكن أن يُقدم الأدب التفاعلي خارج سياق الوسيط الرقمي، الذي يعتمد الصيغة الثنائية (1/0) كما أن باقي الأدب الرقمي لا يصادر التفاعلية من المتلقين، وإن كان لا يقصر إبداعه عليها، ومن ثَمّ لا نجانب الصواب إن قلنا إن كل أدب تفاعلي رقمي.

وفي هذه المداخلة سنشير بمصطلح الأدب الرقمي إلى كل أدب ينشر بصيغة رقمية، سواء أكان نصا مكتوبا أم مسموعا أم مرئيا، ولكن تبقى الكلمة الملتزمة بالأساليب الأدبية والمعايير الفنية هي الفيصل على أدبيته من عدمها، فالأدب أولا وأخيرا نص له تجلياته الجمالية واللغوية، والأديب «باعتباره أديبا يجب أن يمتلك ناصية اللغة العربية قبل أن يمتلك ناصية الإنترنت»[27].

وإن كانت طبيعة الإعلام الجديد دفعت الأدب الرقمي إلى الاهتمام بعناصر جمالية أخرى، وفرضت عليه سمات وخصائص غير لغوية، كجماليات الصورة والصوت، مما حدا ببعض الباحثين إلى الدعوى بأن الصورة قد سلبت الأدب دوره الذي كان يتمتع به، وأنه لم يبق من فنون الأدب إلا ما هو قريب من الصورة والدرامية مثل الرواية، والخطاب السردي عموما، بينما تتلاشي فنون قولية مثل الشعر[28].

ومع الإقرار بما فرضه الإعلام الجديد على الأدب من سمات وخصائص فإنه لا يمكن القول إنه سلب فنون الأدب دورها أو قلصه، بل العكس هو الصحيح فالإعلام الجديد زاد الأدب تألقا وريادة على ريادته، وأتاح له فرصة للانتشار والتأثير، وأفادت منه الصورة أكثر

مما أفاد هو منها، فمنحها الحياة النابضة، والمشاعر الدافئة، وكسب الأدب جمهورا جديدا وأرضا جديدة.

وكما أفاد من الإعلام الجديد الأديب والمتلقي على حد سواء، فقد كسر الإعلام الجديد سلطة النقد واحتكار النشر فأصبح كل من يملك موهبة – ومن لا يملك أيضا – يستطيع أن ينشر ما يبدع، وأصبح الحكم الحقيقي الجمهور، لا النقاد والناشرين، واختفى من الساحة الأدبية تعبير (ممنوع من النشر) كما رحل بلا رجعة الرقيب ومقصه.

قد تكون فنون الأدب تأثرت بالإعلام الجديد فطوعت من أشكالها ومضامينها لتوائم الذوق العام والتطور التكنولوجي والحياة السريعة، فظهرت لدينا الأقصوصة، والومضة الشعرية، وغير ذلك من الأجناس الأدبية والفنون التعبيرية.

أما القول بتلاشي الشعر لأنه من الفنون الشفاهية، فقول مردود عليه بثلاثة أمور:

أولها: أن اختراع المطبعة والانتقال إلى مرحلة الكتابية وهي نقيض الشفاهية لم تؤثر سلبا على الشعر، بل ساعدت على طباعة التراث الشعري ونشره وإحيائه من براثن الزمن، والاندثار، وبالتالي فالإعلام الجديد ساعد ويساعد الشعر على الانتشار والوصول إلى جمهوره ورواده.

ثانيها: أن الإعلام الجديد هيأ للشعر العودة إلى سلطان الشفاهية، والأداء الصوتي والحضور الجماهيري، ذلك من خلال النشر على مواقع الوسائط المتعددة مثل اليوتيوب، والتفاعل معها.

ثالثها: أن الشعر أفاد من الوسائط المتعددة الصوتية والمرئية والتصويرية مما أضفى عليه روحا وريحانا من العصرية والشعرية، تنبعث من تضافر الفنون لا تنافرها، وظهرت لنا قصائد شعرية في غاية الروعة أداء ومضمونا.

ومن السمات الجلية من تزاوج الإعلام الجديد مع الأدب العربي تربع الفصحى في صدارة الفنون الأدبية، وذلك رغبة في المبدع أن يصل إلى أكبر حشد ممكن من الجمهور في الوطن العربي، فعادت الأغاني والأناشيد بالفصحى، والقصائد والدواوين بالفصحى، بعد كانت تتعالى أصوات القوميين بالقطرية واعتماد العامية لغة للأدب والتعليم، وقد أسهم الإعلام الجديد في نشر اللغة الفصيحة التي هي في متناول الجميع من أبناء الأمة العربية، وفي الوقت ذاته تحافظ على السلامة اللغوية.

تجربة خالد الطبلاوي نموذجا:

تؤيد النماذج الأدبية للشباب في الإعلام الجديد ما ذهبنا إليه من إفادة الأدب والأدباء من انتشار الإعلام الجديد، فقد وجد الشباب متنفسا لمواهبهم المدفونة غيلة، فاجتاحت المدونات الأدبية الإنترنت، وتفاعل معها الشباب من المبدعين والمتلقين، وأظهر لنا الإعلام الجديد أصواتا أدبية، تجاهلتها– عمدا أو بدون عمد– المؤسسات الرسمية وشبه الرسمية.

من هذه الأصوات الشابة التي تفاعلت مع الإعلام الجديد وجعلت منه نافذة تطل بها على جمهورها، متجاوزة سلطتي النقد الموجه، واحتكار النشر، الشاعر والقاص خالد الطبلاوي[29] الذي حقق شهرة أدبية وشعرية نافست وفاقت شعراء وأدباء آخرين ينعمون بدعم إعلامي وثقافي رسميين، مما دفع الناقد مصطفى أبو طاحون أن يتعجب من تجاهل الإعلام والمؤسسات الثقافية له، يقول أبو طاحون: «فلشعر الطبلاوي دائمًا مذاقه الخاص ، الذي يبدو فيه الشاعر متعبدًا في محراب الوطن، يلهب حماس أبنائه ، فهو المبدع الثائر ، والعبقري المبدع ، والرائد الصادق الذي يتقدم الصفوف، فكم هي كبيرة جناية الإعلام ومؤسسات الثقافة حين تهمل شاعرًا كبيرًا بقامة خالد الطبلاوي، إبداعه لوطنه وأمته لا لذاته، وشعره لأهله لا لآهاته، يقتات في فنه الألم، ولا يتسلق كما الزائف رُبىً القمم»[30].

فإن تتميز إبداعات الطبلاوي الشعرية والقصصية بأمانة الكلمة وسمو الرسالة، فأعماله تنبع من رؤية إسلامية تسمو بالنفس وترقى بها نحو الجمال الروحي والصفاء العقلي، بعيدا عن دونية الغرائز وحيوانية الشهوات، وحتما بعيدا عن سفاهات الشبهات والالتباسات، وتتسع رؤيته الإسلامية للأدب والإبداع لتشمل كل أدب طاهر فكرا ولفظا[31] بغض النظر عن جنس أو عقيدة مبدعه.

استطاع الطبلاوي أن يُفيد ويستفيد من الإعلام الجديد، فقد مثّل له الإعلام الجديد نقلة نوعية في الانتشار بين جمهور الأدب في جميع أقطار الوطن العربي، فقد زادت شهرته بنسبة 75% من قبل التعامل معه[32].

بدأت رحلة الطبلاوي مع الإعلام الجديد في 2007 عندما انضم إلى منتدى رواء الأدب فتعرف على مجموعة من الأدباء العرب الذين يتبادلون التجارب الإبداعية والهم الثقافي، وفي عام 2009 انضم إلى الفيسبوك، التي كان لها فضل عظيم في انتشار إبداعه وإنتاجه الأدبي، شعرا وقصة.

وبعد تعاون المنشد رامي محمد في أداء وإنشاد أشعار الطبلاوي، اكتسب الطبلاوي جمهورا عريضا وانتشارا أوسع، ولقد بلغ عدد مشاهدات قصيدة الطبلاوي (هنا القاهرة) على قناة المنشد رامي محمد على يوتيوب أكثر من 60 ألف مشاهدة[33] بعدما قام بأدائها بصوته الندي، المقرون بالصور الموحية، بينما زاد عدد مشاهداتها أكثر من 720 ألف على قناة أخرى على يوتيوب[34].

فتح هذا العمل الثنائي بين الطبلاوي ورامي باب التعاون مع منشدين آخرين من الوطن العربي والإسلامي لإنشاد أشعار الطبلاوي المعبرة عن آلام وآمال الأمة، ومع ذلك يؤكد الطبلاوي أن جميع أعماله لم تلق أي دعم مؤسسي سوى عمل وحيد ألا وهو الأغنية الرسمية لمسابقة اللغة العربية بتركيا.

وهذا دليل عملي وشاهد حيّ على أن الإعلام الجديد أسهم بطريقة مباشرة في نشر الشعر وتوصيله، فمتى وصل جمهور الشعر – قبل الإعلام الجديد – إلى هذه الأعداد الغفيرة، فضلا على أن الشاعر لم يُدعم من المؤسسات الثقافة الرسمية وغير الرسمية.

يؤكد الطبلاوي أن منتدى رواء الأدب كان له الفضل الأكبر في مسيرته الإبداعية، حيث قام من خلاله بمسابقة شعرية رمضانية عن سور القرآن والأحاديث النبوية وأسماء الله الحسنى والحيوانات في القرآن، فكان لذلك أثر كبير في خلق جمهور يتابع إنتاجه الشعري والقصصي. ومنتدى رواء الأدب من المنتديات الأدبية التي كان – وما زال – لها دور بارز في اكتشاف المواهب وصقلها على مستوى العالمين العربي والإسلامي، إذ يضم 22.600 عضوا، وتحتوي أقسامه على 38.174موضوعا، فضلا عن 378.663 مشاركة[35].

تقود هذه الأرقام إلى ضرورة إعادة النظر في الاهتمام بالمنتديات والمواقع الأدبية على الإنترنت للاستفادة منها، فهي تحظى بتفاعل وانتشار كبيرين، كما أنها تعد حاضنة أدبية وسوقا شعرية للموهوبين والمبدعين، فإن الوسائل التقليدية مهما لقيت من دعم مادي ورعاية معنوية فلن تحقق هذا الحجم من الانتشار والتفاعل، وذلك الكم من تبادل الخبرات وصقل التجارب بين هذا العدد من المهتمين بالشأن الأدبي والثقافي.

تحديات الإعلام الجديد والهوية الثقافية:

فرض الإعلام الجديد نفسه على الواقع المعاصر، وعلى الأدباء والمثقفين التعامل معه بجدية والاستفادة منه، وأن يكفوا عن الحذر والتوجس من التعامل معه، وإن جاز استخدام

اصطلاح فضل شبلول (التكنوفوبيا) فالدعوة ستكون وجوب التعافي من التكنوفوبيا حتى يمكنهم تكوين جبهة ثقافية تكون بمثابة حائط صد للغزو الفكري والاستلاب الثقافي، من خلال الانتشار والوصول إلى شريحة كبيرة من الجمهور، وخاصة الشباب منهم، وتقديم المفيد والنافع لهم بدلا من الغث والفاسد.

فقد أكدت الدراسات أن الإعلام بصفة عامة – ومنه الإعلام الجديد – لا يتمتع بالحيادية أو الموضوعية، وأن من يديرونه يقومون بتضليل العقول وتطويع الجماهير لأهداف خاصة، حيث يقومون «بوضع أسس عملية تداول الصور والمعلومات ويشرفون على معالجتها وتنقيحها وإحكام السيطرة عليها؛ تلك الصور والمعلومات التي تحدد معتقداتنا ومواقفنا، بل وتحدد سلوكنا في النهاية»[36].

وهو ما أكدته من قبل دراسة عربية في الثمانينيات حيث جاء فيها «أن حرية تدفق الأنباء وتبادل الرسائل الإعلامية بين الدول الغربية الغنية والدول النامية ترتب عليه غزو العالم الثالث بالأفلام والبرامج الإعلامية المختلفة، مما ساعد على سيطرة الثقافة والمفاهيم الغربية وتهديد الثقافات المحلية، مما ترتب عليه في النهاية إسهام الدول الغربية في تكريس أخطر أشكال الاستعمار الجديد، والمقصود الاستعمار الثقافي بمعناه الشامل»[37].

وتكمن الخطورة في الإعلام الجديد في أنه يخلو من التوازن الأيديولوجي والتبادل الثقافي، بينما تحل التبعية الثقافية والاستلاب العقلي الجمعي والفردي؛ حيث تتدفق المعلومات والأفكار في اتجاه واحد، فهي تنحدر من مراكز القوى المهيمنة إعلاما في الغرب إلى مواطن الضعف والتبعية، ومن الطبيعي «أن يتطور قطاع الاتصالات الثقافية في النظام العالمي بما يتسق مع أهداف النظام العام وغاياته، وبما ييسر تحقيقها، ويمثل تدفق المعلومات في اتجاه واحد إلى حد كبير انطلاقا من المركز إلى المحيط موطن القوة فعلا، وكذلك الأمر فيما يتعلق بترويج انتشار لغة واحدة هي الإنجليزية، وتبذل الجهود من أجل إيجاد واكتشاف تكنولوجيا اتصالية سريعة وشاملة، يتم استخدامها عن تماثل وثيق مع بنية واحتياجات القوى المهيمنة في مركز النظام»[38].

ولعل الإنترنت هي الرمز البارز والأوضح التي تتجلى فيها محاولات فرض نمط ثقافي أوحد، يهمش ما عداه من أنماط ثقافية وحضارية أخرى، ويبدو ذلك واضحا من الهيمنة الأمريكية على الإعلام الدولي وعلى مواقع شبكة الإنترنت، وكذلك سيطرة الشركات العملاقة

التي تقوم بتوجيهه حسب أجندتها الاقتصادية والأيديولوجية، فالواقع يشير إلى «أن عولمة الإعلام لا توفر حرية التبادل الثقافي»[39] فعولمة الإعلام تحمل في مضامينها محاولة فرض نمط ثقافي وحيد يزعم أنه اعتلى عرش الثقافات والحضارات.

وتزداد تهديدات الاستلاب الثقافي والعولمة الإعلامية على الشباب حين نعلم أن الجرائم التي يقوم بها النشء والشباب نتيجة التأثير الإعلامي السلبي، «فلقد تنامى التأثير الإعلامي السلبي تجاه جرائم العنف حيث أكدت العديد من الدراسات أن 5% : 50% من أعمال العنف التي يشاهدها العالم في هذه الآونة ترجع للتأثير السلبي لوسائل الإعلام الجديد على النشء والشباب»[40] وتفيد بعض الدراسات الأخرى أن 74% من المشاهد التي يشاهدها الأطفال في برامج الرسوم المتحركة تؤدي إلى سلوك إجرامي لديهم[41].

هذا فضلا عن التهديد القيمي والأخلاقي الناتج من ثقافة الاستهلاك والتقليد الأعمى لسلوكيات وعادات تتجافى مع القيم الإسلامية والعادات والتقاليد العربية، وقد أشرنا فيمقدمة البحث أن نسبة 76% من الشباب يبحرون في الإنترنت، ويغوصون في محتوياته العابرة للقارات والخارقة للثقافات والعادات.

ما نود تأكيده هنا أن الإعلام الجديد سلاح ذو حدين ويجب على المبدعين التعامل معه بوعي وإدراك تامّين لأهميته وخطورته، حتى يحدّوا من خطورته ويزيدوا من فائدته، فإن الانعزالية والتقوقع حول الذات لا يقل خطورة عن الانغماس والانفتاح بلا ضوابط وقيود، فالحل الأمثل دائما في الوسطية والاعتدال، التي تتطلب أن تتضافر الجهود على إثراء محتوى الإعلام الجديد بكل ما يحمل رسالة هادفة ورؤية تثقيفية، تنشر الوعي وتهذب النفس والروح.
وفي أهم النتائج والتوصيات بعض المقترحات التي نأمل أن تُسهم في تحقيق الأهداف المطلوبة والغايات المنشودة.

أهم النتائج والتوصيات:

من أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة أن العلاقة بين الأدب والإعلام الجديد علاقة متضافرة ومتداخلة تثري الطرفين على حد سواء، فيخدم الأدب الوظيفة التثقيفية للإعلام الجديد، ويخدم الإعلام الجديد الأدب من خلال إيصالهإلى أكبر فئة من المتلقين.
كما يمكن الإفادة من الإعلام الجديد بدمج الصورة والصوت والوسائط المتعددة مع النص الأدبي مما يزيده جمالا على جماله وإبداعا على إبداعه.

ولا يمكن تجاهل الإعلام الجديد في الإنتاج الأدبي، وإلا أصبح الأدب حبيس الدفاتر والأرفف، تتراكم عليه الأتربة وعوامل الدهر، فمتلقي اليوم أصبح أكثر اهتماما بالإعلام الجديد وما فيه من وسائل جاذبة، تستقطب عقله ووجدانه.

ولقد ساعد الإعلام الجديد على إتاحة الفرصة للمبدعين أن يصلوا للجمهور مباشرة بدون تحكم من ناشر أو ناقد أو مؤسسة رسمية، مما أفرز لنا أصواتا أدبية واعية وموهوبة، سيكتب الخلود لإبداعها في ذاكرة الأدب والتاريخ الإنساني، بينما ضاعت الأصوات المصطنعة والموجهة في غياهب النسيان وركام الغث الذي لا يسمن ولا يغني من جوع.

ولتفعيل دور الإعلام الجديد في الأدب نوصي بما يأتي:

1. رعاية المواهب الأدبية الشابة التي تنشر إنتاجها الأدبي على الإنترنت، وتفاعل النقاد مع ما ينشرون من إبداعات وتجارب لصقلها وتقييمها مما يضمن تنميتها وتوجيه دفتها نحو ما يخدم الإنسانية ويسمو بالنفس البشرية ولا يتعارض مع القيم والثوابت الإسلامية.
2. إنشاء مسابقات أدبية وجوائز قيمة ماديا ومعنويا للإبداعات التي نشرت في الإعلام الجديد وكان لها نصيب وافر من النجاح وأداء الرسالة.
3. اهتمام الدراسات الأكاديمية والأبحاث العلمية بإبداعات الشباب الأدبيةالمتميزةعلى الإنترنت وتناولها بالدراسة والنقد والتحليل لبيان أوجه التميز والقصور فيها.
4. إنشاء مواقع ومنتديات متخصصة في الشأنالأدبي تكون منبرا وساحة لشباب المبدعين، يشرف عليها ويرعاها النقاد والأكاديميون والأدباء والشعراء من ذوي الخبرة والكفاءة.
5. الاستفادة من الفضاء الإلكتروني في عقد مؤتمرات وصالونات أدبية عبر البث الحي والمباشر على الإنترنت مما يضفي عليها تفاعلا وحيوية من المبدعين والنقاد والمتلقين.
6. أن تتبنى المؤسسات والهيئات غير الحكومية رعاية المنتديات والمواقع الإلكترونية والاستثمار اقتصاديا وثقافيا فيها، فإن الجهود الفردية مهما بلغت من جد ونشاط غير أنها لن تكون على قدر وطاقة العمل المؤسسي.

هوامش البحث

(1)رضا عبد الواجد أمين: استخدامات الشباب الجامعي لموقع يوتيوب على شبكة الإنترنت، بحث منشور في أبحاث المؤتمر الدولي الإعلام الجديد تكنولوجيا جديدة لعالم جديد، 7–9 أبريل 2009، منشورات جامعة البحرين، ص533.

(2) عبد الله زين الحيدري: الإعلام الجديد النظام والفوضى، بحث منشور في أبحاث المؤتمر الدولي، ص126.

(3)انظر: هربرتشيلر، الاتصال والهيمنة الثقافية، ترجمه وجيه سمعان عبد المسيح، الهيئة المصرية العامة للكتاب (مكتبة الأسرة)، 2007، ص25.

(4)انظر: فؤاده البكري، الهوية الثقافية العربية في ظل ثورة الاتصال والإعلام الجديد، بحث منشور في أبحاث المؤتمر الدولي، ص371.

(5)السابق، ص373.

(6) انظر: مصطفى المصمودي، النظام الإعلامي الجديد، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت، عالم المعرفة، ع94، أكتوبر 1984م، ص175.

(7) انتصار إبراهيم عبد الرازق وصفد حسام الساموك: الإعلام الجديد: تطور الأداء والوسيلة والوظيفة، الدار الجامعية للطباعة والنشر والترجمة، بغداد، 2011، ص49.

(8) صادرة عن دار الوفاء، الإسكندرية – مصر، الطبعة الثانية.

(9) صادرة عن المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – المغرب، 2006م.

(10) صادرة عن دائرة الثقافة والإعلام، حكومة الشارقة، سلسلة كتاب الرافد، ع 56 أكتوبر 2013 م.

(11) سعيد بن محارب المحارب: الإعلام الجديد في السعودية: دارسة تحليلية في المحتوى الإخباري للرسائل النصية القصيرة، جداول للنشر والتوزيع – بيروت، الطبعة الأولى 2011، ص28.

(12) Dictionary of Media and Communication Studies: James Watson and Anne Hill, 8th Edition, Bloomsbury Academic, 2012, P196

(13) انظر: الإعلام الجديد في السعودية، ص33.

(14) نيكولاس نيجروبونت: التكنولوجيا الرقمية ثورة جديدة في نظم الحاسبات والاتصالات، ترجمة سمير إبراهيم شاهين، مركز الأهرام للترجمة والنشر – القاهرة، الطبعة الأولى 1998، ص235.

(15) انظر: رضا عبد الواحد أمين، الصحافة الإلكترونية، دار الفجر – القاهرة، الطبعة الأولى 2007، ص 67.

(16) انظر:

- Dictionary of Media and Communication Studies: P 196
- الإعلام الجديد في السعودية: ص67-69
- الهوية الثقافية العربية في ظل ثورة الاتصال والإعلام الجديد: ص 377.

(17) Dictionary of Media and Communication Studies: James Watson and Anne Hill, 8th Edition, Bloomsbury Academic, 2012, P196

(18) الإعلام الجديد في السعودية: ص 67.

(19) فيليب بوطز: ما الأدب الرقمي، ترجمة محمد أسليم، مقال منشور في مجلة علامات المغربية، ع 35، 2011، ص 105.

(20) مدخل إلى الأدب التفاعلي: ص55.

(21) عبد الله الغذامي: الثقافة التلفزيونية سقوط النخبة وبروز الشعبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – المغرب، الطبعة الثانية، 2005، ص58.

(22) الكتابة الزرقاء: ص13.

(23) انظر: ص51.

(24) من هذه الدراسات: مدخل إلى الأدب التفاعلي لفاطمة البريكي، الكتابة الزرقاء لعمر الزرفاوي، الأدب الرقمي أسئلة ثقافية وتأملات مفاهيمية لزهور كرام.

(25) زهور كرام: الأدب الرقمي أسئلة ثقافية، مقال بمجلة عود الند الإلكترونية، ع 89 نوفمبر 2013. تاريخ الزيارة، 2015/5/30
http://www.oudnad.net/spip.php?article945

(26) انظر: مدخل إلى الأدب التفاعلي، ص75

(27) أحمد فضل شبلول: أدباء الإنترنت أدباء المستقبل، ص41

(28) عبد الله الغذامي: الثقافة التلفزيونية، ص60

(29) شاعر مصري وعضو اتحاد كتاب مصر.

(30) مصطفى أبو طاحون: شعرية الألم والثبات والأمل قراءة في ديوان الشاعر خالد الطبلاوي (هنا القاهرة) مقال منشور بجريدة الأمة الإلكترونية، تاريخ الزيارة 2015/6/5 www.al-omah.com/culture/90344--خالد-القدير-الشاعر-ديوان-في-قراءة-أبو-طاحون-مصطفى-د-أ-...الطبلاوي.html

(31) حسين العفنان قضايا أدبية ونقدية مع الشاعر والأديب الكبير خالد الطبلاوي، مقال منشور على موقع صيد الفوائد، تاريخ الزيارة: 2015/6/5 http://www.saaid.net/wahat/husseen/39.htm

(32) من حوار خاص بين الباحث والشاعر بتاريخ 2015/6/3م، للمزيد انظر: نص الحوار في الملحق، والجدير بالذكر أن الحوار جرى بإحدى وسائل الإعلام الجديد ألا وهي المراسلة الفورية في موقع الفيسبوك.

(33) قناة رامي محمد على يوتيوب، تاريخ الزيارة 2015/6/3 https://www.youtube.com/watch?v=-XkjXmQ4Xn8

(34) قناة Cindrella Eman على يوتيوب، تاريخ الزيارة 2015/6/3 https://www.youtube.com/watch?v=usnP_bsy-dU

(35) طبقا لإحصائيات منتدى رواء الأدب، تم زيارته في 2015/6/5 www.ruowaa.com/vb3

(36)هربرت أ. شيللر: المتلاعبون بالعقول، ترجمة عبد السلام رضوان، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت، سلسلة عالم المعرفة، ع 243 مارس 1999، ص5

(37) عواطف عبد الرحمن: قضايا التبعية الإعلامية والثقافية في العالم الثالث، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت، سلسلة عالم المعرفة، ع 78 يونيو 1984، ص163

(38)هربرتشيلر: الاتصال والهيمنة الثقافية، ص21

(39) رضا عبد الواجد أمين: الصحافة الإلكترونية، ص81

(40) فؤاده البكري: الهوية الثقافية العربية في ظل ثورة الاتصال والإعلام الجديد، ص384

(41) عبد الله زين الحيدري: الإعلام الجديد النظام والفوضى، ص136